لعل (اللنكة) مكسباً في هذه الأيام الصعبة.. ويابلاش!

أرخص من سوق الخضار وبإمكانك أن تشتري دباً وستائر وأحذية إذا لم ترغب في القمصان!

ثمة فقه شعبي تجاري ولغوي في (اللنكة)، فهي أولاً تجارة رائجة للملابس المستعملة بدأت منذ الخمسينيات في العراق حسب رواية الشيخ حلال الحنفي، واسمها اقتصاد شعبي لكلمة لونكشاير المدينة البريطانية والميناء المعروف، ويبدو انها كانت تأتي من هناك على شكل لفات مكبوسة (البالات)، وقد ازدهرت في السنوات التسعينية العجاف، واليوم جرى تنويعها من غير منازع ملكة للأسواق وقاضية للحاجات، وقد باتت ألعاب الأطفال تأتي من اللنكة، والشراشف، والأحذية، والستائر.. ويابلاش.. فقد اشتريت أربعة دبية من الصوف غسلتها بالصابون والماء الحار وأتحدى من يراها أن يعرف مصدرها.. واه لو تماع السيارات في اللنكة حتى نستريح من أجور التاكسيات.. وما كل ما يتمناه المرء يدركه.. لكن على حسابي أقول أن اللنكة بدأت تدرك أشياء وأشياء..

سناء خليل النقاش
تصوير : سمير هادي

مشهد لوني

في حي العامل تحولت محال عديدة من بيع المواد الاحتياطية للسيارات إلى بيع ملابس البالات المستعملة وتحول الرصيف المحاذي للسوق بالكامل إلى معرض واسع تنتشر فيه النساء وتتضارب أو تتجاذب ألوان ملابسهن بألوان الملابس المعروضة. إنها باختصار.

فرجة كاملة

عن ماذا يبحثن هنا.. وكيف يجدن الأسعار؟

تقول فوزية محمد وهي أم لخمسة أولاد أكبرهم في سن الخامسة عشرة وأصغرهم بعمر سنتين: ملابس الأولاد غالية جداً فبنطلون لجينز يباع بسعر (16) ألف دينار في حين اشتريته في اللنكة بسعر (1500) دينار، بالمبلغ الأول استطيع شراء كسوات كاملة لأولادي الخمسة من هنا. والله يديم الرخص.

سنية عبد الواحد أم لثلاث بنات جاءت بهن معها من أجل شراء بلوزات صوفية لهن، وكانت فرحة بما حصلت عليه من ملابس، لكننا لاحظنا تذمر فتاة صغيرة تبلغ من العمر 9 سنوات كانت ترفض كل ما تختاره والدتها وتريد شراء الجديد، ولما سألنا (ميس).. وهذا هو اسمها عن سبب تذمرها قالت: هذه الملابس فيها رائحة لا أحبها!!

ميس على حق.. لكن بإمكاننا اقناعها أن الملابس ستتغير رائحتها بعد الغسل والتعقيم والكوي.. ثم ما باليد حيلة من دون أن نذكر لها ديون العراق.. باليد حيلة يا ميس!

أكبر سوق في العراق

تتفق النسوة من مناطق بغداد البعيدة ويقمن بتأجير سيارة (كيا) للذهاب إلى الكاظمية من أجل الزيارة ومن ثم التوجه إلى أكبر سوق للبالات في العراق الذي يمتد من باب الوزارة وحتى سوق الاسترابادي وساحة قريش. هذا السوق أصبح يضم بين 160 إلى 200 محل ومئات العربات والعارضات الحديدية ذات السقائف الملونة والجوادر والأغطية الثقيلة والخفيفة.. يعتاش عليها الآلاف من الباعة الصغار والدلالون والتجار الكبار ويستفيد منها آلاف المواطنين.

أحد الباعة الصغار قدر مرتادي هذا السوق بنحو خمسة آلاف مواطن يومياً، لأنه هو وحده يبيع أكثر من ألف قطعة من الملابس يومياً وبمختلف الأحجام والأنواع.

هذا السوق الضخم أصبح جذاباً جداً، ترتاده الموظفات اللاتي استلمن رواتبهن الجديدة. أسعار القطع البيعة من الملابس تتراوح أسعارها ما بين خمسين ديناراً إلى عشرة آلاف دينار وحسب المستويات فثمة ملابس هي (أخت) الجديدة ولكن بالإمكان الحصول على ابنة خالتها بأسعار رخيصة ولا تصدق.

في سوق الكاظمية هذا تزدحم السيارات بالعربات بالنساء بالأطفال، وتتعالى الأصوات حتى تشعر بأن عليك أن تغادر لكن أنى لك أن تغادر ولعبة الألوان تغريك.. وصيحة يا بلاش توقظ حواسك!

ثم الوديلات تسعينية وبعضها الفية.. فتواصل تقليب أكوام الملابس وتمضي الساعات خفيفة حتى يعظك لجوع فتستفيق على رائحة الكمن فتتناوله عند أقرب مطعم ومن ثم تغادر إلى بيتك بأقرب سيارة. غير آسف، فالصيد ثمين وما حصلت عليه لك ولعائلتك سوف يكفيك الموسم كله، ولكنه يغريك بالعودة مجدداً، فجودة الملابس مؤكدة والأسعار أرخص حتى من سعر قنينة الماء العقم كما أكد الكثيرون من مرتادي هذا السوق.

سألنا البائع محمد راضي السعدي عن مصدر هذه الملابس فتبين لنا أنه مختص باستيراد الملابس من هولندا ولا يتعامل بالملابس المستعملة للدول الأوربية الأخرى..

ويقول الملابس في أوربا رخيصة، ففي نهاية كل موسم هناك (أوكازيون) أي تنزيلات ثمن يرغب، أما غير المباع فيبيعه أصحاب الخازن لهولنديون بأسعار بخسة، بل وبسعر التراب، إلى جمعيات معينة تقوم بجمعه في حاويات وبعد الفرز يكبس على شكل بالات ويجمع في مخازن معينة، ثم يشتريه التجار المتخصصون وينتقل عبر البحار إلى العراق ولبنان والأردن وباكستان وبعض الدول الأفريقية.

أما ما عدا ذلك فلا علم له به، وكان هو نفسه أحد المهاجرين إلى هولندا ولكن عاد اليوم ليمارس هذه التجارة الرابحة التي يفيد بها أبناء بلده من الفقراء. وذوي الدخل المحدود على حد قوله.

معلومات من خبير

نتوغل في سوق اللنكة الحاذي لدائرة الدفاع المدني والإطفاء والمحاذية لمستشفى الأطفال ونصل الساحة التي تحولت هي الأخرى إلى ساحة لعرض ملابس البالات والبطانيات والسجاد، لنلج بعدها إلى أكبر سوق في الشرق الأوسط للملابس المستعملة، وندور في أزقة ضيقة تفرعت محلاتها لتصل بعدها إلى واحد من أكبر تجار الملابس المستعملة: إنه محل السيد حسن هبش شوكت الشهير باسم ابو سنان الذي استقبلنا بترحاب كبير، فجلسنا ما بين البالات نتحاور ونتابع عملية البيع وعقد الصفقات الكبيرة لهذه التجارة الرائجة. وأبو سنان هو أول من عمل في الكاظمية بتجارة اللنكات بعد أن كان مقر عمله في مركز بغداد الرئيسي (تحت التكية) الذي تحول مع الأيام إلى الكاظمية.

يقول ابو سنان:

إن مصادر الملابس المستعملة هي: هولندا وألمانيا وإسبانيا وكندا وإستراليا وأمريكا وأخيراً كوريا.

وأسعارها بالجملة مختلفة ويتراوح سعر البالة ما بين 20-120 دولار أحسب لجودة ونظافة الملابس ونوعيتها.. ويؤكد بأنه لا يجلب إلا البضاعة التي تعد من الدرجة الأولى وفيها شهادة منشأ ومعفرة ومعقمة من قبل الشركة الأجنبية التي يتم التعامل معها في بلد النشأ فالتاجر حريص جداً على أن تكون الملابس لائقة وخالية من الجراثيم أو أي عامل مساعد على انتشار الأمراض. ويشير في حديثه إلى أن تجارة البالات قد بدأت نهاية الستينيات وانقطعت لسنتين في السبعينيات ولكنها استمرت بعد ذلك وحتى الآن.

هذا يعني أن المواطن العراقي يلبس اللنكة منذ أربعين عاماً! ولكن يستدرك فيقول أن العراق من أقل دول الشرق الأوسط المستوردة للبالات إذ أن تركيا والأردن ولبنان تستورد اكثر منا! وهذه التجارة تحقق أرباحاً جيدة ابتداءً من الجملة وحتى للفرد وأغلب رواد هذا السوق من النساء.

شاركنا الحديث أخوه كاظم هبش وهو مستورد للبالات أيضاً وقال: هذه الملابس تفيد الفقراء وذوي الدخل المحدود والعوائل التي لها أطفال عديدون، فنوعيتها جيدة وأسعارها رخيصة وفيها موديلات حديثة جداً وهي صحية ومعقمة من بلد المنشأ. وقد كانت وزارة الصحة تقوم سابقاً بأخذ عينات عشوائية على المنافذ الحدودية لفحصها والبت في دخولها وفي كل الأحوال ليس هناك عائق صحي وليس من مصلحة التاجر أن يدخل المرض إلى بلده، ولم تحصل أية حالة إصابة بالأمراض طيلة الأربعين عاماً الماضية من جراء استعمال ملابس البالات، كذلك لا نرى أي ضرر منها.

ويضيف: كانت البالات للملابس سابقاً

ولكنها توسعت الآن لتشمل على المفارش، الأغطية والعباءات والدشاديش الخليجية وهي مرغوبة جداً، كما توجد بالات للأجهزة المنزلية الكهربائية يستوردها بعض تجار المنطقة الشمالية من العراق. وأسواق البالات لا تتركز في بغداد فقط بل توجد أسواق لها في كل المحافظات وخاصة محافظات كردستان العراق، لأن التجار الكبار المتعاملين بها أغلبهم من أهل دهوك وأربيل. وهناك شركة خاصة في دهوك وبالتنسيق مع التجار الأتراك لإدخالها إلى المنطقة.

لنكة للألعاب

واصلنا الجولة ليس بوصفنا كتاب تحقيق بل كمشترين هذه المرة فقد صرفت ما في حقائبي من نقود في شراء لعب جميلة، بينها ثلاثة دببة، وبعضها ما زال جديداً في علبه ولم تمسه يد ولكنا وجدنا أن محلات بيع اللعب غير منظمة ومتناثرة.

يقول مصطفى المالكي أحد أصحاب محلات بيع لعب البالات أن اللعب بدأت تأتي مع اللنكة في عام 1997 وكانت قليلة ولكنها زادت في السنوات الأخيرة على نحو ملحوظ، وهي تشترى بأسعار البالات وحسب النوعية. وليس صحيحاً ما يدعيه البعض من أنها تصل إلى العراق كمساعدات إنسانية. بل إن سعر البالة تباع حسب الوزن ويصل سعر الكيلو الواحد منها إلى عشرة آلاف دينار. ونتمنى لو كانت أرخص لنبيع اللعب بسعر أقل ليتمكن كل طفل من الحصول على لعبته المفضلة ولا سيما أن أطفالنا امحر ومون منذ سنوات من اللعب الجميلة ومصادر بالات اللعب من الصين وكندا وأمريكا وأوربا، وأفضل اللعب هي الأمريكية، لأنها تحرك عقلية الطفل، وفيها لعب للشخصيات الكارتونية التي يحبها الطفل. وهناك أشياء طريفة نجدها مع اللعب مثل الصور العائلية وأقراص السي دي وشرائط أغاني ونجد كتباً عن الأم الحامل وتربية الأطفال وكتباً علمية للأطفال وبعض أنواع الأحذية النزلية والقماش.

ويضيف شريكه في العمل عقيل نصر: أن عملية بيع لعب البالات تجارة رابحة ويوجد إقبال كبير عليها من قبل العائلة العراقية ولكن امنيتنا الحقيقية أن نعمل في بيع لعب أطفال غير مستعملة وبصناعة وطنية راقية، فالطفل العراقي والعائلة العراقية يستحقان أن يقتنيا الجديد بعدما قدمت وضحت الكثير طوال سنوات الحصار والمعاناة وهذا أبسط حق من حقوقهم الإنسانية!

رأي صحي

بعد هذه الجولة الطويلة تجهنا إلى الدكتور حيدر الجبوري لنسأله عن مدى صلاحية هذه الملابس واللعب للاستعمال بعد أن عجزنا عن الحصول على جواب من وزارة الصحة، فقال:

- من المهم التأكد من الأوراق الصحية لهذه الملابس ومن الضروري أن يتم تعفيرها في داخل العراق أيضاً، وأن تواصل وزارة الصحة فحص البالات الداخلة إلى القطر كما كانت تفعل سابقاً، فهناك العديد من الأمراض التي تنتقل باستخدام ملابس الغير، خاصة الناشف والملابس الداخلية التي لا ننصح بشرائها ويمكن للمواطن الذي تضطره الحالة الاقتصادية إلى شراء الملابس المستعملة أن يقوم بتعقيمها وتطهيرها بنفسه بوسائل التطهير المعروفة والموجودة في الصيدليات، وإن لم يتمكن من شراء هذه المطهرات فيمكنه نقع هذه الملابس بالماء الدافئ مضافاً إليه ملاعق قليلة من ملح الطعام لمدة ساعة ومن ثم شطفها وتعريضها لأشعة الشمس التي تقتل كل الجراثيم ومع أمنياتنا بالصحة والعافية للجميع.

في رأي

رسالة إلى صديقي المعلم

محمد الحمراني

صديقي المعلم (س) تحية طيبة

لقد تذكرتك ليلة البارحة عندما سألت أخي الصغير عنك وقال بأنك ما زلت ترد نفس النكات والحكايات الساخرة على التلاميذ وهم ما زالوا يضحكون.. كنت اعتقد بأنك ستحاول أن تبحث عن طرق تعليم جديدة، لتتخذ مناهج علمية بعيدة عن الارتجال في توصيل المعلومة وأن تجتهد أكثر وأنت تحاول توجيه التلاميذ الصغار نحو العلم والثقافة.. ربما نسيت يا صديقي بأن زمن الدكتاتورية قد انتهى ولي الحق الآن أن أكتب إليك بحرية أكبر.. فأنا من ضمن الأصدقاء الذين تعرفوا عن قرب على أوضاعك المعيشية السيئة، بسبب عدم دعم التعليم والمعلم وكنت تقول لي في السر: (أنا أعمل على قدر راتبي) وكان حقك أن تقول ما تقول، لأن راتبك لم يكن يجلب قميصاً.. لكن كما غادرنا الماضي علينا أن نغادره، والواقع الجديد يحتاج منك أن تكون ذلك الشاب الذي تعرفت عليه في بداية حياتي: الطموح والبعيد عن الغايات النفعية الذي لم يتقبل هدايا الطلاب اليسورين ويرفض الاستجداء عن طريق الدروس الخصوصية.. إن عصر اجديدا بدأ الآن ونريده أن يكون بلا مليشيات كتلك التي سميت (الجيش الشعبي) وبلا (أنا وابن عمي على الغريب وأنا وأخي على ابن عمي) كل ما أطلبه منك أن تترك أسلوب النكات والحكايات الساخرة التي تلهي بها التلاميذ وأن لا تسعى كما كنت تقول لي بـ(عصر دقائق الحصة الدراسية) وتعمل بجد.

كنت أتمنى خلال الأشهر الماضية أن تتصل بأولياء أمور الطلاب، الذين تشعر بأنهم بمستوى دراسي رديء وتخبر عوائلهم بضرورة مساعدتهم والارتقاء بمستواهم وأن تعامل الطلاب بمشاعرك الأبوية السابقة، نحن الآن لم نعد في زمن الشعارات والجعجعات والأكاذيب الصدامية، يجب أن نبني ما دمره النظام السابق وقت أدرى بالحال جيداً، فلا تقف مكتوف اليدين وحاول أن تسترجع نفسك من جديد، لقد أعيد بناء أغلب المدارس والإدارات القديمة التي كان معظمها من البعثيين أزيلت.. كل ما أطلبه منك أن لا تعمل بمقولتك القديمة (أعمل على قدر راتبي) لأنها مقولة نفعية مريضة إن راتبك الآن أصبح جيداً وبإمكانك أن تشتري ما شاء من الثياب ومستلزمات المنزل وليس هناك داع لأن نأتي بأمثلة من التاريخ والتراث ونستشهد بأبيات من الشعر العربي القديم تمجد العلم والمعلم ليس عليك أن تمجد بالمهنة من دون أن تسعى إلى تطويرها، أو أن تكون كما تتوقع المهنة أن تكون لها، بصيراً سليماً، عفيفاً، مربياً، معلماً، ومتعلماً.

أحاديث في المكتب الاستشاري لكلية الهندسة بجامعة المستنصرية

الخبرات العراقية تتخوف من إعمار العراق وثمة تحيز للأجانب!

مع البداية المؤملة لعملية اعمار العراق، والتي يسهم فيها بشكل أساسي، عدد معروف حتى هذه اللحظة من الشركات العالمية، سيدخل قطاع أوسع من مجتمع رجال الأعمال والمستثمرين العراقيين والخبرات الفنية والهندسية، وكذلك اليد العاملة العراقية تجربة ربما ستكون جديدة ومتفردة في بعض نواحيها، ليس بنتائجها الإيجابية المؤملة فحسب، وانما بتلك التي يتخوف منها البعض، وليس أقلها تجاهل الخبرات العراقية

هذا ما لمسناه من الحديث مع عدد من المهندسين العراقيين، خلال فترات متفاوتة من الأشهر الماضية، وبالذات مع أولئك المهندسين الذين يحاولون شق طريقهم المهني بكفاءاتهم فحسب.

أحمد السعداوي

خبرات

الخبرات العراقية لا تقل كفاءة عن الخبرات العالمية.. أكد المهندس مهند صالح فرحان العبيد في قسم الهندسة المدنية، وعضو المكتب الاستشاري في كلية الهندسة الجامعة المستنصرية، وثبت تصريحه الذي تكرر على مسامعي حتى أصبح اللازمة التي يكررها كل مهندس عراقي. فالخشية من تجاهلهم تكتسب ثقلها مع بوادر مناخ الأعمال الجديد الذي سيحل في العراق. لدينا خبرات عالية وأساتذة في المكتب الاستشاري في كلية الهندسة من أصحاب الشهادات العليا من أكبر الجامعات العالمية.. وبإمكاننا كمكتب إستشاري منافسة أكبر الشركات.

قال المهندس مهند صالح قبل أن أسأله عن طبيعة عمل المكتب إذ أجاب:

يقوم المكتب بتأهيل كوادر هندسية من الطلبة، وزجهم في الجانب العملي، بما يؤثر إيجابياً على مستوى أدائهم بعد التخرج.. وواقع الأمر أن المكتب كان ينتقي عقود عمل ويعمل على إنجازها، ويصب الوارد الذي يأتي من هذه العقود في خزينة الكلية. ويوزع بعدها لتدعيم الوضع المادي للأساتذة ولإنجاز المتطلبات العلمية للكلية وإجراء الصيانة والترميمات.. وكان المكتب يدخل عن طريق المنافسة مع باقي الشركات برغم حيازته لبعض الامتيازات كأن تأتيه من الدولة لتنفيذ بعض المشاريع الإنشائية.

هذا الكلام أكده المهندس هشام عبد اللطيف العضو الآخر في المكتب الاستشاري.. حيث بين أن الكلية كانت لها حصة من مشاريع الدولة.. ويأخذ كل قسم من أقسام الكلية جانباً من أعمال هذه المشاريع التي أدت مردوداتها على جعل الكلية في وضعية أقرب ما تكون إلى التمويل الذاتي.

*والآن؟

-الآن ليس لدينا أي مشروع (قال المهندس مهند).. لمشاريع قليلة (قال الأستاذ هشام)، وأضاف: الشركات العالمية التي تعمل الآن في العراق غير متشجعة بعد لمباشرة العقود التي أخذتها من سلطة الإدارة المدنية لقوات التحالف بسبب الوضع الأمني، لذا هي تسلم هذه العقود من الباطن إلى شركات عراقية.. وتلعب العلاقات والتحركات وراء الكواليس دورها في هذا المجال.

وعاد المهندس مهند ليؤكد: لدينا عقود تم إنهاؤها قبل الحرب بأسبوع، لكننا لم نتسلم أجورها بعد، وهي مشاريع حكومية، وأضاف بأسف: كنا فقيرة إسناد للكلية!

مشروع بسيط

الأستاذ هشام بادرنا بالقول:

-انظر إلى (البوردات).. لقد فرضنا على الطلبة أن يعمل إثنان على بورد واحد.. (وأشار بيده إلى قاعة الرسم في قسم الهندسة المدنية مضيفاً): نحن بحاجة إلى تمويل لتجهيز النواقص في المستلزمات الدراسية، كان عمل المكتب الاستشاري فضلاً عن جانبه التطبيقي بالنسبة لدراسة الطلبة ويوفر مردوداً مادياً يكفي لتطوير الكلية.. والآن أنظارنا تتجه بعد عطالة المكتب إلى وزارة التعليم العالي.

الكلية كما تعرف تعرضت للسلب والنهب.. انظر.. كان هنا (15) جهاز كومبيوتر يتعلم عليها طلبة الهندسة ويصممون مشاريعهم.. الآن.. ماذا ترى.. لا شيء.

بالمناسبة.. استلم المكتب الاستشاري مشروعاً بسيطاً من أمانة بغداد-مشروع صرف صحي..

إنحياز

لا بأس.. قلت في نفسي وأنا أطرق باب الدكتور جمال سعيد عبد الأمير معاون عميد الكلية ورئيس المكتب الاستشاري الذي كان منشغلاً عني بمجموعة من طلبة الدراسات العليا.. وبعد أن غادر هؤلاء الطلبة.. فردد يديه في الهواء مخاطباً إياي: هناك انحياز إلى الشركات الأجنبية.. دقق على كلمة إنحياز.. إكتبها رجاءً.. هناك انحياز لهذه الشركات على أساس أنها تقدم الخدمات بشكل أفضل.

تناسيت المعلومات التي أعطاني إياها المهندسون الشباب فسألت الدكتور جمال عن عمل المكتب الاستشاري فقال: المكتب يقوم مهام الدراسات وإعداد التصاميم والشورة الفنية في مختلف المجالات الهندسية والعمارية والميكانيكية والكهربائية، وأخيراً البيئية.

*وهل هناك مشاريع جديدة؟

-قدمنا، من ضمن شركات، لمنظمات أجنبية لإعداد بعض التصاميم. ونحن نجري حالياً بعض الأعمال الخدمية.. ماء ومجاري في ديالى وعين تمر.

كان ارتباطنا السابق مع المكتب الاستشارية العائدة لمؤسسات التعليم العالي، ونعمل حالياً على فك هذا الارتباط. وتطوير عمل المكتب بما يؤهله للدخول في المنافسة..

مقاول كبير

*ما الذي يمكن عمله مع المهندس العراقي.. أو لأجله؟

كان الجواب بوجه عام هو التنبيه إلى الشروة العلمية للكفاءات العراقية.. ووجوب عدم التفريط بها.. وعلى الشركات الأجنبية -استناداً إلى محددات المصلحة العراقية- أن لا تعمل بطريقة مباشرة، وإنما تستند في جزء غير محدد من عملها على الكوادر العراقية.. الشركات الأجنبية يمكن أن ترحل بعد إنجاز مشاريعها.. ولكن ماذا نكون قد قدمنا من خبرة لملاكاتنا المحلية بعمل هذه الشركات، إذا كانت قد أنجزت عملها بملاكات أجنبية بالكامل؟

بعض طلبة الدراسات العليا أشاروا إلى أن المهندس الأجنبي سيضطر للعمل وفق قواعد البناء العراقية.. هناك ترك خبرة مع البيئة ومصادر المواد الإنشائية.. يحتاج غير العراقي إلى خبرة العراقي فيها من أجل إنجاز مشاريعه..

كانت الدولة في السابق هي من تقوم بالمشاريع الضخمة.. تاركة للقطاع الخاص القيام بالمشاريع الصغيرة.. والآن.. اختفى المقاول الكبير، ولا يستطيع صاحب الشركة الصغيرة ذات رأس المال الصغير، برغم الكفاءات الجيدة التي لديه، من منافسة المساهمين الكبار والأساسيين في عملية إعمار العراق.